- وقد تمنى نوح عليه السلام انه لو كان قومه يعلمون من الله هذه السنن فى عقوبة الأمم والشعوب حينما تفسق عن دين الله وتعصى أمره ونهيه " [١] ولذلك مزج دعوته بالترهيب من عذاب الله وغضبه فقال بلسان المشفق الخائف " إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم .
- وهو يوم القيامه أو اليوم الذي ينزل عليهم فيه عذاب العصيان والمخالفة فى الدنيا وهو الطوفان "[٢] ومن المعلوم إن الشرك بالله يوجب العذاب والطرد من رحمته سبحانه وتعالى "
- الداعية هنا يصرخ من أعماق نفسه . وبأعلى صوته إني أخاف يخاف من من ؟ هل هو يخاف على نفسه بل الخوف عليكم انتم ومن أجلكم انه ينبئ عن حساسية ضمير الداعية لكل ما يراه من منكر حقا لقد جاهد نوح جهادا كبيرا وقومه بالطبع هم له كارهون ولدعوته منكرون مع انه يدعوهم لما فيه نجاتهم وصلاحهم فى الدنيا والآخرة وهم معرضون محبون لما يزين لهم المعاصي لكن هذا قدر الأنبياء فما كانت حياتهم إلا معاناة صلوات الله وسلامه .

- جهاد الداعية

- ان سيدنا نوح عليه السلام جهاده فى الدعوى لا ينقطع لانه يمتلك روحا فعاله فلم ييأس ولم يقنط بل عاش للدعوة التى هى روحه وجسده وقلبه وعقله فكان يدعو كما قال الله عز وجل " قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم اني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم أسرارا " [٣] أي لم اترك دعاءهم في ليل ولا نهار مثالا لأمرك وابتغاءا لطاعتك فلم يزدهم دعائي إلا فرارا إي كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق فروا منه وحادوا عنه ثم إني دعوتهم جهرة بين الناس ثم إني أعلنت لهم اى كلاما ظاهرا بصوت عال وأسررت لهم إسرارا فيما بين دينهم فنوع عليهم الدعوى لتكون أنجع فيهم " [٤] لقد فاوت في أسلوب دعوته مترقيا من الأدنى

---

(١) دعوى الرسل للعدوى ص ١٦

(٢) فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ٢١٦

(٣) سورة نوح الايات

(٤) تفسير بن كثير ج٤ ص ٤٥٠ بتصرف

إلى الأعلى فافتتح بالمناصحة فى السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الأحوال لان الجهار اغلظ من الإسرار والجمع بين الأمرين اغلظ من أفراد أحدهما "(١) وهو بذلك قد غمر نفسه فى دعوته فكرر الدعوة ليلا ونهارا سرا وعلانية فهى همة فى كل وقت وحين فيلين مرة ويشتد مرة أخرى إلا أن القوم لم يستجيبوا لما يحييهم . وهذا يدل على استمرار نوح فى الدعوى مع عدم ياسه من رفضهم للدعوة وكان يفاوت فى اسلوب عرض الدعوة بنشاط دائب وعمل متواصل وصبر طويل وهذا ما يفهم من "كلما " فهى تفيد عدم ياس الدعاية من المدعووين . ولفظة " ثم" تدل على تراخى الزمن ويؤيده قوله تعالى " فلبث فيهم الف سنة إلا خمسين عاما "(٢) وهو يدل على طول الفترة الزمنية التى قضاها نوح فى الدعوى متحملا المشاق والمتاعب والعنت ولم يتأثر بل صبر واحتسب " فليعتبر بذلك الدعاة الذين تغلب على نفوسهم اليأس ليعتبروا بذلك الصبر الخارق . وتلك الإرادة الحديدية ولو لم يكن لنوح من الآيات الخلقية سوى هذه الآية لكفته دليلا على تأييده من ربه وصدقة فى دعوته دع أدبة مع قومه على مولاه وقد انزل فيه مع قومه سورة كاملة تمثل لك كيف يكون الجمود على الباطل والدفاع عن الشرك " (٣) . لون سيدنا نوح عين السلام فى الدعوة مبتدئا بالاسرار وللدعوة السرية فائدتها إذ يخلو الإنسان ليواجه الحقيقة بعيدا عن ضوضاء الجماعة وصدق الله إذ يقول " قل إنما أعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا "(٤). ثم أتى بعد ذلك طور الجهرية وللجهرية نوائدها فهى تشعر بقوة الدعوى وبيان حججها على الملأ ، وتظهر عزيمة الداعى الصادقة ويقينة الراسخ وثقته العظيمة بالله الذى ارسله سبحانه وتعالى . والجمع بين السرية والجهرية يشعرك بحرص الداعي على دعوته واستغلاله الفرص لصالح الدعوة فى الليل إذا عسس والصبح اذا تنفس وحرصا منه على إيمانهم وخبرة منه بنفوس المدعوين كى يغير بهذا التلوين فى الدعوة أمة كبيرة يخرجها من الظلومات الى النور وكى ينقى المجتمع من الرذائل والسيأت والموبقات انه جهد دائب من سيدنا نوح الذي قدم كشف الحساب لربه رافعا أعماله إليه انه يتغنى بالفضيلة قولا وعملا وكذلك ينبغي ان يكون الدعاة نماذج حية للدعوة ولا يخاصم قولهم أفعالهم فليتأمل الدعاة .

---

(١) تفسير الكاشف للزمخشرى ج ٣ ص ٢٧١

(٢) سورة العنكبوت ١٤

(٣) دعوة الرسل للعدوى ص ٣

(٤) سوة سبا ٤٦

عناد المدعو

يتمثل عناد قوم نوح فى قوله تعالى واصفا حالتهم تجاه الداعى والدعوة " وانى كلما دعوتهم ليغفر لهم جعلوا اصابعهم فى اذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبرا استكبارا "[١]

قال الامام الرازى : اعلم انه عليه السلام لما دعاهم عاملوه باشياء :

١-جعلوا اصابعهم فى اذانهم والمعنى انهم بلغوا فى التقليد الى حيث جعلوا اصابعهم فى اذانهم لكى لا يسمعوا الحجه والبينة

٢-قوله واستغشوا ثيابهم اى تغطوا بها اما لاجل ان لا يبصروا وجهه كانهم لم يجوزوا ان يسمعوا كلامه ولا ان يروا وجهه واما لاجل المبالغة فى ان لا يسمعوا فانهم اذا جعلوا أصابعهم فى اذانهم ثم استغشوا ثيابهم مع ذلك صار المانع من السماع اقوى .

٣-قوله واصبروا والمعنى انهم اصروار على مذهبهم او على اعراضهم عن سماع الحق .

٤-قوله واستكبروا استكبارا اى عظيما بالغا الى النهاية القوى[٢]

هذه صورة المجتمع الذى واجهة نبى الله نوح كما صوره القران الكريم وهذا موقفهم وافعالهم تجاه الداعى والدعوة . انهم جهلاء وهو يريد تعليمهم . لكنهم سدوا مسامعهم ، وانقاذوا لاهوائهم بدلا من الحجة والبرهان ..... كان الواجب عليهم ان ينظروا الى الداعى والدعوة .

(أ) بعقل واع . (ب) وضمير يقظ (ج) وقلب مستنير .

- " لان الناس لا تهتدى الى الحق بقيام دعاه له يتلون ايات الله بل لابد ان يقوم المدعون بجهد اخر يفقهون به الدعوة ويلينون مشاعرهم وأعضاءهم للسير معها ولا بد من يقظة الضمير الشخصى بعد يقظة العقل لاستيعاب ما القى فيه والدعوة لا تتم الا بسلامة الذهن الذى يتصورها والذى يتماسك فيه حقائقها فمع ضعف العقل وقله الوعى ، لا ينتظر قيام دعوة "[٣]
- وإذا كان على الرسول إن يعلم ويبلغ ويوجه فان على الناس المدعوين واجبا آخر إن يفهموا ما يعرض عليهم ويتعلموا من رسولهم

---

(١) سورة نوح

(٢) تفسير الفخر الرازى ج١٥ ص١٣٦ دار الفكر

(٣) مع الدراسات فى الدعوة والدعاة محمد الغزالى ص ٢٠.

ويستيقظوا من نومهم . لكن قوم نوح كان سلوكهم مفضوح جعلوا اصابعهم فى اذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا على الكفر والضلال .

- وهى صورة " تبرز من ثناياها ملامح الطفولة البشرية العتيدة تبرز فى وضع الاصابع فى الاذان وشد الرؤوس والوجوه بالثياب والتغير برسم بكلماته صورة العناد الطفولى الكامل وهو يقول انهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم وآذانهم لا تسع اصابعهم كاملة انما هم يسدونها باطراف الأصابع ولكنهم يسدونها فى عنف بالغ كانما يحاولون ان يجعلوا أصابعهم كلها فى آذانهم ضمانا لعدم تسرب .
- الصوت اليها تباعا وهى صورة غليظة للاصرار والعناد كما انها صورة بدائية لاطفال البشرية الكبار"[1] الذين اصروا على العناد والمكابرة
- إن قوم نوح أول مجرمي حرب على رسولهم وهم اول من سنوا هذه السنة السيئة سنة الأعراض عن الدعوة فعليهم وزرها لا محالة .
- إن الكفرة الفجرة فى كل عصر ومصر لا يقبلون نصحا ولا توجيها ولا إرشادا ولكنهم يريدون الحياة حسب أهوائهم كى يعيثوا فى الأرض فسادا
- انهم قوم لا يريدون التوحيد عقيدة فهم ورثوا الشرك والوثنية عن عن آبائهم الأولين بدليل قوله تعالى فقال (الملا الذين كفروا من قومة ما هذا إلا بشر مثلكم يريد إن يتفضل عليكم ولو شاء الله لا نزل ملا ئكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين) "[2]وهم لا يريدون نوحا ولكنهم يريدون ملكا واتهموه بانه يريد التفضل عليهم " ما اعجب شان اهل الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر ورضوا للالوهية بحجر "
- انها المعركة المستمرة التى لا تضع أوزارها ولا ينطفئ اوارها مع انها معركة معروف الأهداف أنها بين رسل الله واعدائهم فى كل عصر ومصر بين الخير والشر والحق والباطل وسوف ينتصر الحق على الباطل كما ثبت بالواقع والبرهان . الا تسمعون الا تنظرون الا تعقلون
- ويكشف الله عز وجل عن خبث طويتهم وفساد تصورهم مع انهم لا يبغون نوحا بحجة ان من امن معه هم أراذل القوم فى نظرهم جاء ذلك واضحا فى قوله تعالى " قال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أرذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين "[3] .

---

(١) فى ظل القران – سيد قطب ج ٦ص ٣٧١٢ .

(٢) سورة المواسون ٢٤

(٣) سورة هود ٢٧

هذه هى حجتهم على كفرهم ووصفهم لمن امن بنوح مع ان الناس سواء لكنـهم جهلوا هذه الحقيقة واتبعوا ابليس اللعين لانه هو الذى صور لهم نظـام السـاده والعبيد ووسوس لهم بانهم اذا اتبعوا نوحا . صاروا تابعين لا متبوعين . ثـم ان نوحا لا ميزة له عليكم وهكذا واصر القوم على الكفر والضـلال . النـاس تجـاه دعوى الحق فريقان . فريق هدى الى صراط مستقيم فاصاب الخـير لنفسـه ولاسـرته ولمجتمعة الذى يعيش فيه . وفريق غوى واتبع هواه فضل واضل وكان امره فرطا فاستحق عذاب الله عز وجل فى الدنيا والاخرة وقوم نوع من الصنف حقت عليهم الضلالة .

أ- لم يستجيبوا للداعية مـن اول لحظـة وقـاموا بسـد مسـامعهم وتغطيـة وجوهم بالثياب لئلا يرو الداعـى .

ب- لم يفكروا فى الدعوة انهم كانوا قومـا عميـن .

ج- كذبوا نوحا وسبوه ولم يقابلوا الحجـة بمثلـها .

د- استخدموا اسلوب السخرية والاسـتهزاء وهـو اسـلوب الضعفـاء فـى كل وقت وحيـن .

هـ- صاروا بذلك الد اعدائه واقـوى خصومـة .

و- كان المفروض عليهم ان يؤمنوا بدل انهم اختـاروا لانفسـهم اسـوء الفـروض

ر- لقد سلكوا طريقا معوجا فيه هلاكـهم وخزيـهم وسـولت لـهم انفسـهم ان أعلنوها حربا على نوح ومن آمـن معـه .

المواجهة

مواجهة الداعية لقومة .

أرسل الله نوحا رحمه لقومـة . لان يدلـهم علـى طريـق الخـير والفـلاح الا انهم قابلوه بالإساءة وبأساليب السخرية والاسـتهزاء . ولكنـه مـع ذلـك لـم يضن عليهم بالنصيحة ولم يبخل بعلمـه او يغـش احـد . فكـان داعيـة علـى مستوى المسئولية مستوفيا لشـروط الدعـاة فـهو يحمـل مؤهـلات الداعـي وينفذها حرفيا . فوجـه قومـه إلـى الاسـتغفار بلطـف وأدب قـائلا " فقلـت استغفروا ربكم انه كان غفـارا يرسـل السـماء عليكـم مـدرارا ويمددكـم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكـم انـهارا :[1]

يقول صاحب الكشـاف :

أمرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعـاصي وقـدم إليـهم الموعـد بما هو أوقع في نفوسـهم واحـب إليـهم مـن المنـافع الحـاضرة والفوائـد العاجلة وترغيبا فى الإيمان وبركاته والطاعة ونتائجـها مـن خـير الداريـن "[2]

(١) سورة نوح الآيات

(٢) تفسير الزمخشرى ج ٣ ص٢٧١

الترغيب فى الدعوة

الترغيب من رغب يرغب رغبه إذا احرص على الشـيء وطمـع فيـه ورغبـه أعطاه ما رغب وبابه طرب "١" ويظهر من ذلـك ان الـترغيب هـو التحسـين والتجميل فى الأمر وهو أسلوب مـن أسـاليب الدعـوة إلـى الله تعـالى سـنة الله عز وجل لسيدنا نوح ولمن بعده . وهـو يخـاطب قومـه ويوجههـم إلـى الاستغفار . يقول صاحب الظلال : أطعمهم فـى الغفـران إذا اسـتغفروا ربـهم فهو سبحانه غفار للذنوب انـه كـان . غفـار وأطعمـهم فـي الـرزق الوفـير الميسور من أسبابه التي يعرفونـها ويرجونـها وهـى المطـر الغزيـر الـذي ينبت به الزرع وتسيل به الأنهار كمـا وعدهـم برزقـهم الآخـر مـن الذريـة التى يحبونـها وهـى البنيـن والأمـوال التـي يطلبونـها ويعزونـها ويرسـل السماء عليكم مدارا وقد ربـط بيـن الاسـتغفار وهـذه الأرزاق وفـى القـران الكريم مواضع متكررة فيها هـذا الارتبـاط مـن صـلاح القلـوب واسـتقامتها على هدى الله وبيـن تيسـيرا الأرزاق وعمـوم الرخـاء "٢" قـالى تعـالى (إلا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير وان اسـتغفروا ربكـم ثـم توبـوا إليـه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويـؤت كـل ذى فضـل فضلـه وان تولـوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) "٣" وهذا معلـوم بالنسـبة لمـن هـو فـى رحاب الله عز وجل عبدا مطيعـا يفتـح الله عـز وجـل لـه ابـواب الخـيرات والضد يظهر حسنه الضد . فبالكفر نخرب الديار وتـهلك الامـم . ولكـن مـاذا فى هذا دروس وعبر ان نوحـا – فـرد – رجـل – يواجـه مجتمعـا باسـره ويلاحظ ان المجتمع هو المتحكم . وصـاحب الكلمـة . والداعـى هنـا عليـه ان يستخدم أسلوب الترغيب . الكلمة اللينـة فـهو يواجههـم بـالين لا بالشـدة والغلظة . وبالسان لا بالسنان . فيوجههم الـى الاسـتغفار الـذى لـم يكلفـهم مالا ولا شططا . وهو فى مصلحتـهم . الدينيـة والدنيويـة .

- " عن الحسن البصري ان رجلا شكا اليه الجـدب فقـال اسـتغفر الله وشـكا اليه أخر الفقر أخر قلة النسـل وآخـر قلـة ريـع أرضـه فـآمرهم كلـهم بالاستغفار فقال له بعض القـوم أتـاك رجـال يشـكون اليـه أنواعـا مـن الحاجة فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا لـه الآيـات "٤"

(١) لسان العرب مادة رغب بتصرف

(٢) فى ظلال القران سيد قطب ج ٦ ص ٣٧١٣ دار الشروق .

(٣) سورة هود ٣،٢

(٤) تفسير الفجر الرازى ج ١٥ ص ١٣٦ دار الفكر

- الدعاة الفاقهون يستغلون العسر واليسر الضيق والفرج السراء والضراء لصالح الدعوة فيردون الناس الى الله ردا جميلا ويربطوهم بخالقهم فى تلطف وادب .
- قوم نوح لم تؤثر فيهم الدعوة فاطعمهم بما يحبونه وكما قال اهل التفسير ان قوم نوح كانوا يحبون المال والولد فاستغل ذلك لصالح الدعوة . وليس الامر قاصرا على قوم نوح بل الانسانية كلها تحب المال والولد .
- موقف الداعية فى منتهى القوة . لكن لفظا جار حا لم يرد على لسانه فعلاقته مع اعدائه علاقة محبه وعطف وحنان ولين . وكلمه طيبة وكذلك ينبغى ان يكون الدعاة .
- قد يقول قائل ان اللين مع هؤلاء إكرام لذاتهم لكم لا ان التلطف او اللين فى مخاطبة الظالمين "لا يقصد به تكريمهم وإعلاء ذواتهم بقدر ما هو سبيل الى تمهيد الطريق أمام أجيال واقعة فى كيد هؤلاء الأشرار انه ليس قاعدة لكنه إجراء تفرضة أحيانا مرحلة من مراحل صراع لم يستكمل فيه الحق عدته وعندما نستبعد المخاشنة او العنف فى مخاطبة الطغاة الظالمين فليس بلازم ان يكون البديل هو الطف والاستلام بل ان بين اللطف والعنف مراتب اخرى يمكن بالحكمة ان تحقق نتائج طيبة على طريق الدعوة ـ، ان الكلمة اللينة لا تعنى التنازل عن عنصر من عناصر الحق بل انها تهدف الى ابلاغ الحقائق بلا صدام او تجريح يوقظ الوحش الكامن فى كيان طاغية متربص ينقض بلا رحمه على فريسته المسالمة "[١].
- اضف الى هذا ان الله سبحانه وتعالى عليم بمن خلق خبير بنفوس المدعوين فها هو يرغبهم فى الايمان ويعدهم على ذلك انفتاح ابواب الخير المتدفق من الاموال والاولاد والجنات والانهار . ان هم اطاعوا رسولهم . ووحدوا ربهم .
- ويفهم من هذا ان القوم كانوا على علم بالجنات والانهار والزروع والثمار فكانوا فى حضارة ومدينة . ولم يكونوا متأخرين بل كانوا زراعيين .
- واذا كان هذا نظرهم من الناحية المادية فهو يريد ان يطهر ارواحهم ويزكيها بهذه التوبة والاستغفار كى يصحح مسارهم . ويرد نفوسهم الى بارئهم وظل يجاهدهم بذلك جهادا كبيرا طويلا .

---

(١) فقة الدعوة لأستاذنا الدكتور محمود عمارة ص ١٥٥

- لقد رسمت الايات صورة حيه قاعدة عريضة في معاملة الدعاة للجمهور من الناس في كل وقت وحين .

الدعوة بالترهيب

- من خصائص الداعية مراعاة نفسية المخاطبين ومخاطبتهم بما ينسجم معهم . وعلى الداعية الحصيف ان يستعين بكل ما يتاح له من اساليب كي يراعي مقتضى الحال كما يقول البلغاء .
- الدين الذى شرعه الله عز وجل يتعامل مع الانسان في حدود طاقته . وفطرته وواقعه . وهو يعلم عوج طباعة .
- دعا نوح قومه مراعيا نفسيتهم فلما لم تنفع الرغبة جاءهم بالرهبة علها تجدى لافتا انظارهم الى النشأة الاولى " ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا الم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها . ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا لتسكوا منها سبلا فجاتا "[١]

قال بن عباس : لم لا تعظمون الله حق عظمته إي لا تخافون من باسه ونقمته "[٢] . ويضيف صاحب الكشاف إن الله نبههم على النظر فى أنفسهم أولا لأنها اقرب منظور فيه منهم ثم على النظر فى العالم وما سوى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السماوات والأرض والشمس والقمر"[٣] ولا ريب من إن الفكر والتذكر فى خلق الله عز وجل يعمقان معرفة الله عز وجل فى قلب الإنسان يقول حجة الإسلام الغزالى رحمه الله " اعلم ان كل ما فى الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلقة وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته وإحضار ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لذلك لنفذ البحر قبل إن ينفذ عشر عشيرة "[٤] وقد ورد الحث على التفكر والتدبر والتذكر في هذه الآيات فى الأنفس والأفاق ليوجه نظرهم إلى دلائل قدرة الله عز وجل وواحدا نيته وأثار رحمته جل وعلا وسيدنا نوح عليه السلام " يخاطبهم باسلوب يدعو الى الفكر ويبعث على التامل والنظر يا قوم الا تدرون ان الله خلقكم

---

(١) سورة نوح ١٣ : ٢٠

(٢) تفسير بن كثير ج ٤ ص ٤٥٠ .

(٣) تفسير الكشاف للزمخشرى ج٣ ص ٢٧٢

(٤) إحياء علوم الدين للغزالى ج ١ ص ٨٠ فصل فى التفكر .

في في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق لقد كنتم ترابا ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم منتم اجنة وفي جميع هذه الاطوار كنتم في رعاية الله محفوظين بحفظة محاطين بعنايته وبعد ذلك كنتم اطفالا فشبابا فشيوخا "[١]

وسوف تموتون وتبعثون وتحاسبون على ما قدمتم ثم يلفت نظرهم إلى ما أودع الله عز وجل في هذا الكون من دلائل عليه تدل عليه سبحانه تعالى لكنهم في غفلة معرضون " وإن تعجب يا أخي من غفلتهم فاعجب لبقاء الإنسان طفلا وعوامل النضوج مزدحمة في فؤاده تنتظر وقته واحدة على اية من آيات الله تتأثر بروعتها فإذا هي تتحرك وتجيش وتبعث الحياة والنمو في قلية وان تعجب كذلك فاعجب لهذه الإنسانية التي تقضي أمارها تحت سماه باهرة الايات معجزة المشاهدات وفوق ارض ضخمة الجبال جلية البحار ، رهيبة الصحارى والقفار ، حافلة بإسرار الله فيما خلق من نبات وحيوان وجماد وهي مع ذلك تمضي ذاهلة كأنها لا تعيش تحت شئ ولا فوق شئ ولو ان هذه الآيات التي تملا الآفاق امر حقي او يحتاج الى كد ذهن لا لتممنا لها المعاذير في في هذا الأعراض بل في هذه العمى ولكنها أشياء بارزة للعيان ، شاخصة للحواس تعترض المرء في كل وجه ، وتفرض نفسها عليه في كل وقت .

- اليس من العجيب انه تخلص من كل ذلك فلم يلتفت إليه ولم يتأثر به بل أليس من المحزن المؤسف المؤلم انه لم يتخلص منه إلا لا نطماس باطنه وامتلاء وجدانه بالكثافات المظلمة الثقيلة ان هذه البلاد وهذه الغفلة هي مرض الإنسانية الشائع إذا مرض به القلب فسد واظلم ، وماتت مشاعره فلا تتأثر بشيء من آيات الله ترى عين رأسه ما تراه ، دون ان ينطبع على صفحته شئ من هذه المراني "[٢]
- " فأنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور " سورة الحج
- إن طبيعة الخلق محكمة وصنع الله عجيب مدهش ، ولقد لفت سيدنا نوح نظرهم إلي سنن الله في الأنفس والآفاق مستدلا بالمشاهد على الغائب ، وبالخلق الأول على الإعادة الا ان القوم لم يفكرون واتخذوا من دون الله شركاء .
- لماذا لا تؤمنون بالله عز وجل وتوحدوه وقد خلقكم من عدم ؟ إنك نطفة قذرة ومن قبل لم تكن شيئا مذكورا ، ثم جعل هذه النطفة في قرار مكين ومرت بمراحل حتى صارت خلقا . اخر تتحدث وتسمع وترى من يقدر على ذلك لا أحد بالطبع سوى احسن الخالقين.

---

(١) في رحاب الكون أ.د . / عبد الحليم محمود شيخ الازهر ص ٧٨

(٢) تذكرة الدعاة للبهي الخولي العلامن ص ١٢٠

* هذا الكون لم يخلقه الله صدفة بل هو وفق نظام دقيق . (لا الشمس ينبغي لـها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) "١" الـهواء بقـدر والماء كذلك ولم يترك الحق ملكية الهواء لأحد حتى لا يقتل البشر إن هذه الـهواء يتكون من عنصر الأكسجين والأيدروجين لكل منهما نسبـة لو زادت لاحترق الكون بمن فيه او لاختنق الناس جميعا فهلا توحدوه وتعبدوه طويلا .

* " لقد كان الأمر بالاستغفار دعوة الى تجديد حياتـهم تجديدهـا مـن الداخـل وتجديدها من الخارج بالتعاون على الخير والبر بعيدا عن ضياع الشخصية فـي خضم الملأ من الأغنياء المتجبرين عن طريق اتباعهم على غير هدى يعينهم على ذلك نظرات منهم واعية الى النفس وما تنقلب فيه من أطوار والسماوات وما يطرأ عليها من ظواهر والأرض الممهدة المعدة للعيش وكيف كانوا فيها بقدر الله عـز وجل بذورا أنبتها الله عز وجل فإذا هي أشجار تستوى على سـوقها ثـم يكـون إخراجهم منها بعد الفناء سبيلا إلى الحساب على ما قدمت الأيـدي وعلـى هـذه اللوحة الواسعة تبدوا آثار القدرة التي تتقاضاهم الخضـوع لله وحـده ومظـاهر النعمة التي تستوجب شكره وحده أيضا ولكن القوم يرفضون الواقع الـذي يمـلأ أعينهم ثم يهرعون بكل ما يملكون من قدرات ليجعلوا منها هدية متواضعة الى كل متكبر جبار عنيد "٢" . عجبا الأمر هؤلاء الذين يتعجبون من صنـع طـائرة ، ولا يتعجبون ويسجدون للذي بسط لهم الأرض مهادا والسماء بنـاء ألا تثـير هـذه السماء المحكمة دهشتك أيها الإنسان " انك ترمق بإجلال مخترع الطيـارة وكلمـا رايتها تشق الفضاء زدت إشادة بعبقرية فما رأيك فيمن يدفع الألوف المؤلفة مـن الكواكب تطير في جو السماء من غير توقف ولا عوج . وما رأيك فيمن خلق عقل هذا المخترع وأودع في تلافيف مخه الذكاء الذى وصل به إلى ما راعك واسـتثار إعجابك أليس ربك ورب كل شئ أحق بان تعرف عظمته وتفتح عيونك على آثـار قدرته فإذا ما عرفت عظمته من خلال عظمه الوجود الذي يحيط بك فجلـت مـن التهجم عليه ونسبة مالا يليق اليه "٣" وقلت مع العارفين " ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار " ال عمران فالمفروض ان تعبدوه بعد ان توحدوه وتتقوه بكرة وأصيلا . ان نوحا يلفت نظر القوم الى الذى خلقهم أطوارا أم أنكم خلقتم مـن غير شئ ؟ فهو يحاول أن يجرهم إلى اصل يتحاورون عليه حتى يصلوا إلى توحيد الله عز وجل .

---

(١) سورة يس ٤٠ .

(٢) نوح عليه السلام أ . د . / محمود عمارة ص ٢٠٠ .

(٣) ثقة السيرة محمد الغزالى ص ٢٠٦ ط ٧ سنة ١٩٧٦م

* وينتقل الى دليل عقلى أخر . هو توجيه النظر إلى عنـاصر تركيـب الكـون السماوات طباقا . الشمس – القمر – الارض عمليه الإنبات فانظروا الى سير هـذا الكون البديع المنظم انه لا بد له من خالق يقول للشئ كن فيكون . وهكذا تحمـل الآيات حملة ثقيلة على قوم نوح كي تردعهم عما هم فيه مـن عمـى وضـلال . ولكنهم ظلوا معرضين . رغم أن الآيات أعلنت عليهم وعلى البشرية جمعاء سـنة الله فى خلقة فى الأنفس والآفاق فخلق الإنسان فى أطوار متعاقبة وقد خلق مـن الأرض وإليها يعود بعد الموت ومنها يبعث ان شاء الله تعالى .

* ثم طفقت الايات تظهر قدرة الله عز وجل على إحياء الإنسان كما يحى الله عـز وجل . الأرض بالنبات والقادر على هذا قادر على ذاك .

* ومن العجيب أن الله عز وجل خلق الإنسان و أودع فيه القدرة علـى التعـرف عليه . وعلى الاختبار وعلى الميزان لكنهم أصروا على الكفر رغم براعة الأدلـة . ومنهج سيدنا نوح عليه السلام فى الدعوة الذى شرعه له رب العالمين .

صور الملأ من قوم نوح

يصور القرآن الكريم صورة المجتمع الذى واجهه نوح عليه السلام بالدعوة الـى توحيد الله عز وجل وكان ذلك بكل الأساليب والوسائل مواصلا الليل بالنـهار فـى دعوته ينصحهم ولا يجرحهم موجها ومراشدا وهذا ما يفرضـه عليـه إيمانـه . بدعوته وأخوته لقومه . إلا أن المشركين لم يرعوا لنوح إلا ولا ذمة . ولم يرقبوا فى مؤمن إلا ولا ذمة عندئذ " قال نوح : أ- رب إنهم عصونى ب- واتبعوا من لـم يزده ماله وولده إلا خسارا. ج- ومكروا مكرا كبار "[1]

لم يمثل قوم نوح ما أمروا به من الإيمان والاستغفار ففصوا رسولهم ولم يكتفـوا بذلك " بل اتبع الفقراء من لم يزده ماله ووالده اى الرؤساء وأصحـاب الأمـوال والأولاد إلا خسارا فى الآخرة "[2] انهم كما يقول استاذنا الدكتور / محمود عمـارة أسلموا زمامهم إليهم فقادوهم من خسران الى خسـران وهـذه نهايـة المتعـه الرخيصة دائما . لذة تفضى الى لذة . ولا رأى هناك ولا قرار ، ولا غايات شـريفة يغرى بها المرء نفسة كلما اشتط به المزار . بل الأمر كما قال الشـاعر العربـى يشبه حياته بناقة هائمة لا يطفئ . ظمأها الماء ولا يقضى عليها هيامها فهى فى الغراب ابدا لاتموت ولا تحيا . أصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا قـاصد عليها هيامها . ويشكل الجميع حزبا يتآمر لحساب هذه المتعه الدنسه تعاليا بقيـم المال والواد والسلطه " ومكرو مكرا كبارا " .

---

(١) سورة نوح ٢١ ، ٢٢

(٢) تفسير النسفى ج ٤ ص ٢٩٧

ورغم الإحساس بهوان الحياه على هذا النمو يتنادى الآثمون من كل صوب بالتمسك بالاوثان أربابا من دون الله عز وجل رغم أن الآثمين يجرون المؤمنين الى الهاوية رغم انهم ينحرفون بمسار القافلة الى اليسار بعيدا عن جادة الصواب فان قلوب عميا مازالت تصفق للركب الأهوج "[١] لقد كانوا معاندين . فصاروا حجر عثر في طريق الإصلاح لأنهم احتلوا للدين وكادوا لنوح وحرشوا الناس به . وآذاوه وصدوا عن سبيل الله ومع ذلك لم ييأس الداعيه ولم يعرف اليأس سبيلا الى قلبه لأنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ولله هو القائل .

لا تيأسوا من روحه . . . فاليانسون كفره .

لاتأمنوا من مكره . . . فالآمنون فجره .

إلا أن القوم كانوا فى عناد واستكبار وإصرار ألا لعنه الله على الظالمين .

حاله قوم نوح

يقول عز شانه :

- " وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا "[٢]
- قال بن جرير : كانوا قوما صالحين وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم[٣]
- ويلاحظ إن هؤلاء القوم قاموا بعمليه التصوير والتمثيل وهذا يثبت انهم كانوا مهره بارعين فى الصناعه وقال رؤساءهم لسفلتهم :" لاتزرن الهتكم على العموم أي عبادتها ولاتزرن ودا صنم على صورة رجل ولا سواعا هو على صورة امرأة ولا يغوث على صورة أسد ويعوق هو على صورة فرس ونسرا وهو على صورة نسر اى هذه الأصنام الخمسه على الخصوص وكأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصوها بعد العموم وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح إلى العرب " [٤] .

---

(١) نوح عليه السلام أ. د./ محمود عارف ص ٢٠٢ .

(٢) سورة نوح ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) البدايه والنهايه لابن كثير جـ ١ ص ١٠٦.

(٤) تفسير النفسي جـ ٤ ص ٢٧٨.

• يتبين لنا من ذلك انه كان عند قوم نوح أصناما أخرى كثيره وهو يظهر طبيعه المجتمع من أنه يدرك صناعه التماثيل التى يعبدونها من دون الله عز وجل .

سنه الله فى المجتمعات الظالمه

قال تعالى :

" مما خطياتهم أغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا " (١)

• إنني المح مجازاه أصحاب السوء . بما كسبت أيديهم . وأين وداو سواعا ...الـخ الآله المزعومه اتتوا بها لتنصركم إنها اعجز من أن تنصركم فضلا عن نقصها .

• لقد غصبوا على المصلح الاجتماعي " سيدنا نوح " الذى يدعوهم الـى الخـير وسخروا منه . وظلوا ثائرين عليه لأنه ينهاهم هنا عما ألفوه ..... ويدعوهم إلـى ما يحبه لنفسه ولم يسالهم على ذلك أجرا ولم يكلفهم شططا .

• إن سنة الطوفان وغرقه قوم نوح بأسباب ومقدمات لان الله عز وجل لا يظلـم أحدا وكما يقول الإمام النسفى " لم يكن إغراقهم بالطوفان وإدخالهم فى النـيران إلا من اجل خطيآتهم أكد هذا المعنى بزيادة ما وكفى مزجرة لمرتكب الخطايـا " (١) وإدخالهم النار موصول بإغراقهم والفاصل الزمنى القصير كأنه موجـود اغرقـوا فادخلوه لأنه فى موازين الله لا يحسب شيئا فالترتيب مـع التعقيـب كـائن بيـن إغراقهم فى الأرض وإدخالهم النار يوم القيامة . وقد يكون هو عذاب القبر " (٢).

لقد حسمت هذه الآية الصراع بين الحق والباطل وأظهرت سنة الله عز وجل . فـى نصرة رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وضحضه الباطل وأهله فى أسرع وقـت وكأنه لم يمكن " إنا للنصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد " (٣)

• هذه سنة لا تتخلف فهو سبحانه وتعالى لا يرضى عن الذين يصرون عن سـبل الله ويحاربون الداعى فكل من سلك هذا الطريق . هلك مع الهالكين وصدق الله اذ يقول " فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحـة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كـانوا أنفسهم يظلمون " (٣) وبالتأمل فى الآية تجد أن العقاب مختلـف فلكـل قـوم مـا يناسبهم من العقاب . ولا يظلم ربك احدا وكل ذلك عبرة وعظة لاولى الألباب .

الصراع بين الحق والباطل

• سنة الله فى خلقه ، ولن تجـد لسـنة الله تبديـلا ، ومـن سـنتة سـبحانه وتعالى أن جعل الصراع دائما بين الخير والشـر والحـرب مسـتعمرة بيـن

(١) فى ظلال القران سيد قطب جـ ٦ ص ٣٧١٦

(٢) سورة غافر ٥١

(٣) سورة العنكبوت ٤٠

الحق والباطل ، وكان هذا من الوقت الذى خلقت فيه البشرية ولدت بآدم عليه السلام ، وقد سلطته عليه إبليس بالوسوسة والإغواء وقد أغراه على الأكل من الشجرة التى نهاه الله عن الأكل منها فما قضى الأمر لحكمه يعلمها سبحانه ، وأمر آدم بالخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض قال تعالى " اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين "(١) ..

- من هذا اليوم والبشرية فى صراع جبار بينها وبين هذا الملعون الذى توعدها بالإغراء والهلاك والإضلال فمنهم من صارع الشر وتغلب عليه فانتصر وفاز بالمغفرة والرضوان ومنهم من ضعف امام الشيطان واسلم نفسه للهوى ، وركن الى الشهوات ، وعاث فسادا فى الأرض ، فانهزم وباء بالخسران . " فإما يأتينكم منى هدى فمن أتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة آعمى قال رب لما حشرتنى آعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى " (٢)
- وكان من سننه سبحانه كذلك أن النصر دوما الحق وان الهزيمة دوما لباطل مهما كثر جنده واتسعت دائرته واستحكمت قلاعه وقويت معداته قال تعالى " بل نقذف بالحق على البطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون " (٣) .
- ويقول تعالى : " فأما الزبد فيذهب جفاءا وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الأمثال " (٤) .
- واذا نظرنا الى المعارك التى دارت بين أهل الإيمان وأهل الكفر من قديم الزمان الى اليوم لوجدنا مصداق هذه السنة ، لقد مكث نوح عليه السلام فى قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الهدى ويحثهم على الخير ، ويبين لهم سواء السبيل حتى اذا ما سخروا منه وصموا آذانهم عن الحق آخذهم الله بعذابه . وسلط السماء ان تنزل من المطر فأغرق الله الظلمة ونجا المؤمنون .

---

(١) سورة الأعراف ٢٤

(٢) سورة طه ١٢٣

(٣) سورة الأنبياء

(٤) سورة الرعد ١٧

" وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين " (١)

دعاء نوح عليه السلام

" وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، انك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا ألا فاجرا كفارا ، رب اغفر لى ولوالدي ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا " (٢).

جاهد نوح قومه جهادا كبيرا ، لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم الى الله عز وجل . ويتجنب إليهم .

- ويرفق نوح بهم فى دعوتهم ولا يجرحهم بدافع الاخوة الصادقة والنصح الخالص .
- وكان يناقشهم مناقشة موضوعية كى تسفر هذه المناقشة عن الالتزام بالحق بعد ما تبين لكن القوم رفضوا الدعوة رفضا باتا لدرجة أن الرجل كان " ينطلق بابنه اليه ويقول إحذر هذا فانه كذاب وإن أبى حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك وقد أخبره الله عز وجل " (٣)
- " انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن " (٤) .
- مذا يفعل نوح إزاء كل هذا إلا أن يلجأ الى الله الكبير المتعال صاحب الدعوى قائلا :" فدعا ربه انى مغلوب فانتصر " (٥) .
- وهنا ليس اضعف من الانسان إزاء ربه يلتمس منه الحول والقوة فالعبد ضعيف حتى ولو كان رسولا نبيا " ان دعوى الضعيف الذى يقبل على الله بشعور القهر والغلبة تفتح أبواب السماء وتفجر ينابيع الأرض بأسباب النصر وجنده ، فهل نتعلم كيف ندعوا الله عز وجل وهل نتعلم كيف نسخر جنود السموات والأرض بأذن الله لنصر الله " (٦) .
- لقد دعا سيدنا نوح عليه السلام من قلب مخلص ، قاعدة صحيحه وأتى بحيثيات الدعاء أنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا لماذا ؟

---

(١) سورة هود ٤٤

(٢) سورة نوح ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨

(٣) سورة نوح ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨

(٤) سورة القمر ١٠

(٥) تذكره الداعى البهى الخولى ص ٢٤١ .

(٦) دعوى الرسل للعدوى ص ١١١

- " لأنهم أمه الضلال ورؤوس الكفر وما داموا على ذلك المحال فهم خطر على كل موجد ، وحجر عثرة فى طريق الإصلاح لذلك دعا الله أن لا يدع على وجه الأرض واحدا منهم ، لأنه إن تدركهم أضلوا عباده ، وإن ولدوا نشئوا أولادهم على الشرك وربوهم على الكفر " (١)
- أهلك الله قوم نوح لما كفروا بربهم ، وعصوا رسوله : وعتوا فى الأرض مفسدين . والله سبحانه وتعالى عليم بذات الصدور وبسرهم ونجواهم كما انه لا يظلم أحدا .
- استحق الكافرون غضب الله . فهم لا وزن لهم وهم أهون شئ كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله نوح لقد استأصلهم الله حتى لا يكونوا حجر عثرة فى طريق الدعوى . الا لعنت الله على الظالمين .
- وإذا كان نوح قد دعا على من عصاه وكفر به فانه فى المقابل قد أسس جماعة مؤمنة قليلة كانت هى قوام المجتمع الإنساني قاطبة فيما بعد .
- ثم إن الله عز وجل طبع الرسل على مكارم الأخلاق والمناقب السمحة . فهم أهل اصطفائه واحسانه وسفرائه بينه وبين خلقه . ولذلك لم ينس نوح من آمن به من دعائه فهم الثمرة الأولى لصدى الدعوة وهم حصيلة الف سنة الا خمسين عاما فقال كما حكاه القرآن الكريم " رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظاملين الا تبارا " .
- استجاب الله عز وجل لنوح ونجاه هو ومن معه على قلتهم وركبوا سفينة النجاة سفينة التوحيد وسط أمواج عاتية من الشرك حتى وصلوا بر الأمان وكان لنوح اليد العليا عند الله وعند الذين أمنوا فهو الذى دعا للمؤمنين والمؤمنات وهو بار بهم الى يوم الدين وهذا يثبت رابطة الاخوة فى الدين جاء ذلك بعد دعائه لنفسه لانه أحق بالدعاء والوالدين وكانا مسلمين ، لأنه لو لم يكونا مسلمين لعوتب فى ذلك ولكن ذلك لم يحدث فثبت إسلامهما .
- ولا حظ أن نوحا عليه السلام يدعو لنا يظهر الغيب وفى هذا أدب للدعاة إلى الله تعالى : وأنت تدعو أخوك المسلم تقول له وفقك الله ـ يرحمك الله ـ هدانا الله وإياك لعل هذه الكلمات تفتح القلوب بإذن الله تعالى . وها هو سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يقول له ربه " و أستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات " (٢) .

(١) دعوى الرسل للعدوى ص ١١١

(٢) سورة محمد ١٩

- وها هم صحابة رسول الله تعلموا منه صلى الله عليه وسلم كيف يكون الدعاء . وهاهو وصف الله لهم " والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولا خواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين أمنوا ربنا انك رؤوف رحيم "[1] .

والواجب علينا ان نتعلم كيف ندعو ؟

- وكيف نفعل ما كان يفعله النبى وأصحابه وليكن معلوما أننا إذا لم نفعل ما كان يفعله السلف كان ذلك من إحدى الكبر . حيث جاء فى الحديث الذى صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " يلعن آخر هذه الامة أولها " فأحذر ذلك ياعبد الله " ولمن دخل بيتى مؤمنا " منزلى مسجدى او سفينتى " مؤمنا " لأنه علم أنه من دخل بيته مؤمنا لا يعود الى الكفر وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيامة .
- خص أولا من يتصل به لأنهم أدلى وأحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إي الكافرين الا تبارا هلاكا فاهلكوا "[2] .

لقد شغل نوح نفسه وهو داعيه بدعوة ربه عز وجل . لانه لا فراغ فى وقت الداعية بل هو حريص على وقته يشغله بكل عمل جاد نافع له ولدعواته .

حقا لقد كان نموذجا للنوبة التى تصرف للاباء حقوقهم كان ذلك نابعا من معرفته لنفس . وحقيتها فهو عبد ضعيف مهما بلغ .

ولن يدخل الجنة بعمله بل برحمة ربه . ثم هو اخ حميم وأب رحيم وأبن بار مستقيم فصلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع المرسلين .

واجب الدعاة اليوم .

١- القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للإسلام وأكثر الناس اتخذوه مهجورا ونحن نطالب بالعودة اليه لا لنقرأ حروفه وكلماته تلاوة وحفظا فقط بل لابد من الفقه والتدبر والفهم والوعى .

و كما يقول المرحوم الشيخ محمد الغزالى " لابد من قراءة القرآن الكريم قراءته متدبرة واعية ، تفهم الجملة فهما دقيقا ، ويبذل كل امرئ ما يستطيع لوعى معنها وإدراك مقاصدها ، فان عز عليه سال أهل الذكر والمدارسة للقرآن مطلوبة باستمرار ، ومعنى مدارسة القران الكريم القراءة والفهم والتدبر ، والتبيين لسنة الله فى الأنفس والآفاق ومقومات

(١) سورة الحشر

(٢) تفسير النسفى جـ ٤ ص ٢٩٨

الشهود الحضاري ومعرفة الوصايا والأحكام وأنواع الترغيب والترهيب والوعد والوعيد وما الى ذلك مما يحتاج المسلمون اليه لاستئناف دورهم المفقود " (١) .

فهيا بنا يعود الى القران الكريم قلبا وقالبا لنأخذ منه الدروس التى تصلح بها النفوس .

- كان سيدنا نوح عليه السلام علما خفاق على طريق الدعوى يعلم الدعاة كيف يدعوه . ويصبرون ويثبتون .

اننا نخاطب الدعاة اليوم " فى العصر الحديث " أن ينهجوا نهج سيدنا نوح فى الدعوة . فسيرته تزكى عزائمهم بلا ريب وتدفهم الى السير قدما فى طريق دعوة الحق .

- لقد سار كل الأنبياء على درب هذا النبى عبر التاريخ وجاءت رسل الله تترى . فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الدعوة وما ضعفوا وما استكانوا .
- ان نوحا تحمل مشاق الدعوى . وصبر وجاهد قومه جهادا كبيرا ولم ييأس . ولم يجاريهم ولم يتملق إليهم كى يسلم من أذاهم وسخريتهم لكن كان حريصا على إرضاء ربه أولا واخيرا وتبليغهم رسالة ربه . التى تصلح شانهم .
- لم تهدأ غيرة نوح على الدعوة . ولم تفتر عزيمته عن مواصلة التبليغ ، ولم يلق بالا لغضب الناس فهو لا يخشى فى الحق لومة لائم .
- لم يواجه قومه حين أرسل اليهم بالصاروخ ولا بالعصا . ولا بالنابالم ولا بالديناميت . ولكنه واجههم بالكلمة الطيبه اللينه " ياقوم " لان السيف لا يستطيع أن يجبر أحدا على الدخول فى الدعوة وكان يقابل السفه بالحلم ولم يوغر صدره فيما رموه به، عندما سخروا منه . بل ظل ينصحهم ويخوفهم من عذاب الله عز وجل " ان المعامله الحسنه تدنى والجفوه تبعد والقول الطيب يهدى وغيره ينفر وصدق الله

(١) كيف نتعامل مع القران الكريم محمد الغزالى ص ٢٨

إذ يقول " وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد " (١)

- ويقول عز شانه " وقولوا للناس حسنا " (٢) . ان القدوة الصالحه تهدى وتجعل الجميع يهتدون بأهل الخير " (٣) .
- ونناشد الدعاة في العصر الحديث أن يلتزموا منهج الله عز وجل ولاداعى للتعصب والغضب فى غير موضعه او الانفعالات التى ليس لها وزن او الإساءة لأحد من البشر دون وجه حق .
- كان سيدنا نوح قدوه لمن آمن به .لأنه كان مثلا عمليا حركيا . يرمقه قومه بأبصارهم فهو يتقلب فى الحياه أمام أعينهم على مرأى ومسمع منهم قدوة للناظرين وسلوكا للعاملين .وكذلك نبغى ان يكون الدعاة وهاهو القران الكريم يوجه الرسول صلى الله عليه وسلم الى الاقتداء بجميع المرسلين " أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده " (٤) .
- وفى هذا الصدد يقول الشيخ محمد الغزالى إن صلاح المؤمن هو أبلغ خطبه تدعو الناس الى الإيمان وخلقه الفاضل هو السحر الذى يجذب اليه الأفئدة ويجمع عليه القلوب ، أتظن جمال الباطن اضعف أثرا من وسامه الملامح كلا أن طبيعة البشر محبه الحسن والالتفات اليه وأصحاب القلوب الكبيرة لهم من شرف السيرة وجلال الشمائل مايبعث الإعداب بهم والركون إليهم ومن ثم فان الداعيه الموفق الناجح هو الذى يهدى الى الحق بعمله وان لم ينطق بكلمه لانه مثل حى متحرك للمبادى التى يعتنقها " (٥) .
- حقا إن من الزم خلال الداعية ان يكون متواضع رفيقا حليما متأنيا .فلا تقوم الدعوى على العصا والغلظة والشدة والقسوة والمخاشنه أبدا هذه هى الدعوة " معشر الدعاة " فهل قدمتم للمجتمع القدوة الحسنه التى تترك أثرا صالحا . فى نفوس الناس أم أنكم تركتم مجال الدعوة

---

(١) سورة الحج ٢٤ .

(٢) سورة البقرة ٨٣ .

(٣) الدعوة الى الاسلام - محمد ابو زهره ص ٧٢ .

(٤) سورة الانعام ٩٠ .

(٥) مع الله محمد الغزالى ص ٢٩٦ .

واستبدلتموه بمجال القضاء تحكمون بلا علم على الناس الا تسمعون قول رسولكم صلى الله عليه وسلم " من قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما " وفى روايه مسلم " ومن دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا جار عليه " إنما بعثتم ميسرين ومعلمين لا لعنانين لا صخابين فاين تعليمكم للجهله . وايم حلمكم بهم ومخاطبتهم بما يعرفون . ويفهمون المفروض ان تتبعوا ولا تبتعدوا .

- يلاحظ إن اجل النضال بين الحق والباطل محدد عند الله عز وجل والقدره يتدخل فى الوقت المناسب لفض الاشتباك فيحق الله الحق ويبطل الباطل فى الوقت المعلوم والأجل المحتوم ليهلك من هلك عن بينه . ويحى من حى عن بينه .
- الجمهور من قوم نوح عليه السلام فى قمه الطغيان والكفر والجحود حياء لإحياء . إيماء لا إيمان .سلام .لا سلام ونوح ظل الف سنه يدعوهم بالحسنى وهاؤمو اقرءوا كتاب نوح .هل استفزهم .
- وقال لهم كلمه جارحة نابيه تفرق ولا تجمع ابدا لقد رفق بهم واشفق عليهم ولا ينهم مع انهم فى قمه الطغيان فهل تذكرالدعاه هذا الفردوس المفقود .
- ان العامل على غير علم كما يقول الحسن البصرى كالسالك على غير طريق والعامل على غير علم مايفسده اكثر مما يصلحه فاطلبوا العلم طلبا لا يضر بالعبادة واطلبوا العبادة طلبا لا يضر بالعلم فان قوما طلبوا العبادة وتركوا العلم ، حتى خرجوا باسيافهم على امه محمد ﷺ ولو طلبوا العلم لم يدلهم على مافعلوه ، أهـ

ألا فليتأمل الدعاة علهم يصلون الى مايؤملون .